نقول بالتحديد ترمز الى الفلسطينيين الذين هاجروا · ولكن ، ما هو مطلب القاسم بالتحديد ؟ هل يكتفي في روايته بمجرد التعبير عن هذه الرغبة في النفاذ من المأساة ؟ · الواقع ، كلا · فصرخة القاسم الحقيقية تتجلى بوضوح هنا :

(سام او حام او يافط · هذه الامور الانتولوجية لا تعنيني كثيرا · المهم انني فقدت وطنا كاملا وحقيقيا بترابه وصخوره واشجاره ·· بناسه ومدنه ودكاكينه وقراه واثاثه وملابسه وقهوته الساخنة ، فقدت وطنا في حالة جيدة وصالحة للاستعمال مئة بالمئة ·· لم يذهب هذا الوطن الى كوكب اخر ·· انه على الارض تعرفون انتم موقعه ·· تعرفون جيدا وطني الذي ضاع بلا اي منطق ·· في زمن من المفروض ان ينتصر فيه المنطق · اريد شبرا واحدا من العدل · هوية واحدة من العدل · « دنيا » واحدة من العدل) ·

فهو يطلب حلا عادلا لقضيته · وهو يعترف بان العدل المطلق امر غير ممكن ولكن هذا لا يجوز ان يكون مبررا لضياع حقه · هو لن يقبل ذلك ومستعد لبذل اي ثمن من اجل استرداد حقه ، انه يهدد ثم يطرح الحل الواقعي من وجهة النظر التقدمية لا من وجهة النظر المستسلمة ·

ومع أن هذه الصرخة تمثل صلب رواية القاسم ، الا انها في الوقت نفسه لا تمثل الا جزءا من الافكار التي عالجها · ما هي ابعاد المأساة ؟ واسبابها ؟ وما علاقتها بالمآسي الاخرى ؟ وهل يمكن النفاذ من هذه المأساة ؟ وكيف ؟ ·

هذه الاسئلة يجيب عليها القاسم في روايته بكل صراحة · ففي بداية روايته باستشهاد من هاملت (ستفهم من يكون هؤلاء الناس لان الممثلين لا يصنعون سرا ويفشون بكل شيء) يعد بان ما بين دفتي هذه الرواية هو لخدمة الحقيقة · ومع ذلك يؤكد القاسم هذا الوعد (ولتذهب الى الجحيم كل الموازين التي تعوق مسيرة الحقيقة ·· سري مع « الليلك » هو جزء من حقيقتي التي ازعم الافشاء بها ·· هذا السر عذبني طويلا ولا ينبغي علي الصمت عليه اكثر مما مضى) ·

وفعلا فالقاسم بر بوعده على طول روايته · ابرز اسباب النكبة بواقعية وبدون تحفظ او انحياز ·

(من هم اليهود يا جدي ؟· ـ هم ناس شريرون يريدون قتلنا واحتلال ارضنا · ـ لماذا هم شريرون يا جدي ؟ ـ لانهم لا يحبون الناس ·· والله لا يحبهم ·· ـ هل الله يحبنا نحن يا جدي ؟ ـ اجل يحبنا يا بني · ـ اذن لماذا لا يحمينا الله من اليهود ؟ ـ سيحمينا !) ·

هذه العقلية التواكلية والاعتماد على القوى الميتافيزيقية هي ولا شك احد اسباب النكبة والكاتب يكشفها في اكثر من مناسبة · كما ان الفهم الخاطيء لليهودي كان ولا شك من اسباب « الانشطار » وتسهيل مهمة القوى الخارجية · وقد يشير الكاتب في بعض عباراته اشارات غير مباشرة ، فهو يصف حماس الرجال الذين هبوا للدفاع عن « الليات » ، ثم يصف احباطهم (افرغوا امشاط رصاصهم القليلة وعادوا قطيعا مذعورا) · اين السلاح ؟ ومن المسؤول ؟ ·

وفي دوامة هذا المأزق يبرز « حسن » الكسيح · الفتى الذي لم يتمكن من الرحيل او البقاء « فلجا » في وطنه الى « الرامة » · فحسن هنا يرمز الى جيل